

قوة النور الداخلي

النور الداخلي هبة إلهية يحملها الإنسان في روحه. هذا النور دليلٌ يهديه إلى الحقيقة، والإنصاف، والعدل، والأخلاق، والسلام، والمسؤولية، والاجتهاد، والبناء، والإنتاج، والجمال، والخير، وسبل الحياة الهادفة.

ولذلك يحمل الإنسان في داخله نورًا إلهيًا هديةً من خالقه. لا يعطي هذا النور معنى للوجود الفردي فحسب؛ بل يُبقي الناس على طريق الأخلاق والفضيلة. ولكن هذا الضوء ليس ثابتًا. إنه يحتاج إلى أن يتغذى باستمرار بالحب والمعرفة والرحمة والقيم الصحيحة. وإلا فإنهم سوف يضعفون، وسيُجر العالم الروحي للإنسان إلى الظلام. وهذا يعني مشاكل وصعوبات في التوازن. ويؤكد المسيح على أهمية النور الداخلي في هذه الكلمات: "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (متى 5: 16).

هذه العبارة تعلمنا أن الإنسان يجب أن يكون كائنًا لا ينير نفسه فحسب، بل يلقي الضوء أيضاً على ما يحيط به. إن الإنسان الذي يحافظ على نوره الإلهي حيًا يغذي روحه ويخدم مجتمعه.

تحمل الثقافة السريانية وعياً عميقاً بأن النور هو رمز للحكمة الإلهية والحب. ويعزز هذا الفهم القديس فيلوكسينوس المنبجي (440-523) على النحو التالي: "النور الحقيقي في النفس يأتي من الله. هذا النور يمحو كل ظلام في الإنسان ويجعله نقيًا أمام الله."

وتظهر هذه التصريحات أن التنوير الحقيقي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التحول الداخلي. يلخص المثل السرياني هذا الأمر على النحو التالي: "الشيء الوحيد الذي سيهزم الظلام الداخلي هو التوجه إلى النور ورعايته."

من الناحية الفلسفية، الضوء هو رمز الحقيقة والخير. في "رمزية الكهف" لأفلاطون، يمثل الضوء أن الإنسان يجب أن يهرب من ظلام الجهل ويصل إلى التنوير. والتصوف السرياني يثري هذا النهج. يقول مار إسحاق النينوي (613-700) ما يلي بشأن هذا الموضوع:

عندما تمتلئ النفس بنور الله، ترى عينا الإنسان الغيب وتختار النور حتى في الظلام. هذا النور هو انعكاس لمحبة الله، وهو يقود الإنسان إلى الحقيقة والفرح.

إن حماية هذا النور الإلهي وتعزيزه في فوضى الحياة هو أحد الواجبات الأساسية لجميعنا. في عصرنا هذا الذي تهيمن عليه التطورات التكنولوجية والقيم المادية، نبذل جهوداً كبيرة لتغذية أجسادنا. ولكن عندما نهمل روحنا، فإن سلامنا الداخلي ينقطع ونواجه شعوراً بالفراغ الوجودي. وتقدم كلمات المسيح التالية إرشادات في هذا الصدد: "نور الجسد هو العين. فإن كانت عينك سليمة، كان جسدك كله منيراً. وإن كانت عينك مريضة، كان جسدك كله مظلماً. وهكذا، فإن كان نورك في داخلك مظلماً، فما أشد ظلمته!" (متى 6: 22-23).

إن رعاية نورنا الداخلي ليس مسؤولية فردية فحسب، بل هو واجب اجتماعي. عندما يجتمع نور الأفراد المختلفين، يزداد التنوير الاجتماعي. إن التعبير التالي، والذي يستخدم كثيراً في الصلوات السريانية، هو نهج آخر يعبر عن هذه الحقيقة:

"في نورك نجد النور، أرنا سبل حكمتك." ونتيجة لذلك، يجب علينا أن نسعى جاهدين لتغذية نورنا الداخلي والوفاء بمسؤوليتنا تجاه أنفسنا وبيئتنا. بهذه الطريقة فقط، مع الحفاظ على التوازن بين الأبعاد المادية والروحية، يمكننا أن نعيش حياة أعمق وأكثر معنى وتناغمًا تحت إرشاد نورنا الداخلي. لأن المعنى الحقيقي للحياة يبرز عندما يعكس الإنسان نوره الداخلي في حياته وفي حياة الآخرين.

ملفونو يوسف بختاش

رئيس جمعية الثقافة واللغة السريانية وأدبها / ماردين